دراسة للأسر القبطية في القرن التاسع عشر

عائلة بقطر في أسيوط أنموذجا

د. يحيي محمد محمود أحمد

تشكل قلة أو ندرة المصادر والمراجع عقبة أساسية أمام دارسي التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمصر في القرن التاسع عشر، ويرجع ذلك الي حرص المصادر التاريخية المعتادة على تناول الجوانب السياسية من تاريخ البلاد والشخصيات السياسية إلى جانب الحكام أكثر من أي جانب آخر من جوانب المجتمع، ولذلك؛ فإن البحث في تلك الموضوعات تكتنفه الكثير من الصعاب سواء المصدرية أم المنهجية، فإذا ما توافر القليل من المعلومات كان هناك الكثير من المحاذير عند استخدامها وتحليلها[١].

إشكالية الدراسة

كان من أهم مبادئ ثورة ١٩٥٢ القضاء على الإقطاع وأعوانه، فهل كان كل هؤلاء الملاك الكبار من ناهبي ثروة المصريين؟ أم أن بعضهم قد كون ثروته من خلال عمله؟، وهل كان هناك من بينهم ملاك كبار من الأسر القبطية؟ وكيف كانت علاقتهم بالمجتمع المصري في صعيد مصر؟، وهل كان لكبار الملاك المسيحيين دور سياسي واجتماعي في مصر في الحقبة اللبرالية، هل ارتبطت الثروة بالمذهب البروتستانتي كما يقول أصحاب الأخلاق البروتستانتية؟[٢]، سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال استعراض تاريخ عائلة بقطر في صعيد مصر.

ظهور عائلة بقطر بأسيوط

ولد الأخوان حنا وويصا بقطر في عصر محمد علي باشا، فقد ولد حنا عام ١٨٣٢ م، وولد ويصا عام ١٨٣٧ م، وسمي الأول على اسم جده لأمه وسمي الآخر على اسم جده لأبيه، وعاشا وكونا ثروتهما في عصر خلفاء محمد علي الأوائل، حيث لم تزد ثروة والدهما عن امتلاكه لمحل خردوات في مدينة أسيوط، ولكن حتى ذلك القدر القليل لم يكن أساس رأسمال الأخوين ولا جزءا منه، فقد هجر الولدين محل ومنزل الأب وبدءا من لا شيء في تكوين ثروتهما[٣].

فقد الأخوان بقطر والدتهما وهما صغيرين فكان الأكبر في الثانية عشرة من عمره، وبدأ يعمل مع والده في محل الخردوات، وتزوج الأب للمرة الثانية بعد وفاة الأم، وعاملت الرابة أبناء زوجها معاملة سيئة، فهجرا المنزل بعد شجار معها بسبب الأخ الأصغر، واقتسم الأخوان رغيفا كان كل ما مع حنا وخرجا من منزل الأسرة[٤].

بدأ الأخوان العمل معا برأسمال مقداره عشرة قروش في تجارة الخردوات التي كان الأخ الأكبر قد تعلمها من عمله مع والده، وباشرا العمل كبائعين متجولين في الريف المصري سيرا على الأقدام في البداية حتى تمكنا من توفير ثمن حمار يركبانه؛ وكان هو وسيلة التنقل في الصعيد بين القرى والنجوع في ذلك الوقت، وهو ما كان يعود عليهما بربح أعلى من بيع الخردوات في مدينة أسيوط، وكان حنا يعرف بخبرته أن بيع

تلك الخردوات في القرى أكثر ربحا من بيعها في أسيوط المدينة، وبذلك تمكنا من تكوين أول مبلغ كبير في حياتهما من التجوال في القرى وهو أربعون جنيها[٥].

مكنت تلك التجربة الأخوين من معرفة دقيقة للسوق المحلي في صعيد مصر، كما مكنتهما من الاختلاط بكل طبقات المجتمع المصري في الصعيد، وبالتالي أكسبتهما القدرة على التعامل مع المجتمع والسوق وهي العامل الأول الذي مكنهما في سن صغيرة من تكوين ثروة ليست بالقليلة في ذلك الوقت.

التغيرات الاقتصادية في مصر

وصل سعيد باشا– ابن محمد علي باشا الذي ولد في الإسكندرية عام ١٨٢٢م– إلى السلطة في سنة ١٨٥٤م، خلفا لعباس الأول ابن محمد علي باشا، تعلم سعيد باشا في باريس في بعثة الأنجال التي أرسلها محمد علي إلى هناك، فبدأ مجموعة من الإصلاحات المحدودة التي أملتها ظروف البلاد، وأحدث مجموعة من التغيرات في المجتمع المصري، فأصدر اللائحة السعيدية في ٥ أغسطس ١٨٥٨م، والتي أعطت بعض حقوق الملكية على الأرض الزراعية، كما أمر بالتجاوز عن المتأخرات الزراعية على الفلاحين المصريين والتي قاربت ٨٠٠٠٠٠ جنيها، كما أمر بإلغاء الاحتكار الزراعي، وألغى ضريبة "الدخولية" التي كانت تدفع عند دخول سلعة إلى أسواق المدينة[٦]، كما أنشئت السكك الحديدية بين القاهرة والإسكندرية والسويس فقد أنشئ الخط الأول سنة ١٨٥٦م، والآخر سنة ١٨٥٨م[٧].

عدل سعيد النظام الضرائبي فألغى جميع العوائد والرسوم الجمركية الداخلية، وبدأ التجار الأوروبيون في التجول في البلاد بعد أن كان عباس يضع العقبات ت واحدة تلو الأخرى . أمامهم وهو الحق الذي حصلوا عليه بموجب معاهدة أنكيار إسكلسي عام ١٨٣٣م بين السلطان العثماني والقوى الكبرى. كل تلك العوامل ساعدت على تطور التجارة الداخلية، وهو ما زاد من ثراء التجار.

وعلى جانب آخر عين سعيد باشا موسى باشا حمدي حكمدارا عاما للسودان، فانتظمت إدارته وساد الأمن في جميع ربوع السودان، ورفع ظلم الضرائب[٨]، وضع نظام الضرائب بدلا من الاحتكار والعشرية وغيرها[٩]، وكانت أسيوط هي مركز التجارة مع السودان حيث كانت التجارة مع السودان تبدأ من أسيوط إلى درب الأربعين حتى السودان مما ساعد على وجود شكل من أشكال الرواج في أسيوط ساعد تجار الصعيد على التوسع في تجارتهم بشكل أكبر.

زادت حقوق الملكية على الأراضي الزراعية في مصر بعد صدور قانون المقابلة الذي منح حق ملكية الأرض لمن يدفع ضرائب عشر سنوات مقدما، وتوالت التشريعات التي تزيد من منح حق ملكية الأرض لمجموعات أخرى من الملاك، وأدى ذلك إلى استقرار الملكية الزراعية في نهاية القرن التاسع عشر، وحقق الأخوان بقطر ثروة من التجارة لا بأس بها ووجدا مجالا خصبا في مجال الاستثمار العقاري للاستفادة من الملكية الزراعية.

تكوين الثروة

أثناء تجوال الأخوين في الصعيد لبيع الخردوات وجدا مركبا غارقا في النيل، وكانت البضائع التي عليها ملكا لشركة مركزها الإسكندرية، ولم تجد الشركة أن الأمر يستحق إخراج هذا المركب من الماء، وعرض مندوب الشركة في أسيوط المركب بكل محتوياته للبيع وهو راقد في النيل بمبلغ أربعين جنيها، وطبعا لم يكن هناك من يمتلك مثل هذا المبلغ، بالإضافة الى أنه كان عليه المغامرة بشراء مثل تلك الحمولة الغارقة ، كما كان عليه انتشالها كذلك.

حث ويصا الأخ الأصغر والأكثر حبا للمغامرة شقيقه الأكبر على شراء المركب على أن يخرجاها بمساعدة الأهالي، واضطر الأخ الأكبر إلى موافقة شقيقه الأصغر الذي هدد بالانسحاب من مشاركة أخيه العمل إن لم يقبل المغامرة والتضحية بكل ما يملكان في هذه الصفقة غير المضمونة النتائج[١٠].

تمكن الأخوان بمساعدة شيخ القرية والأهالي المسلمين من رفع المركب التي كانت مشحونة بالحرير الطبيعي الجيد التغليف والأقمشة الأخرى، مما حقق لهما للمرة الأولى ثروة مكنتهما من فتح محل في أسيوط ووضعهما على طريق الثروة. ويبين لنا هذا الحادث روح التكاتف الموجودة في الصعيد، فلم يفكر الأهالي في ديانة التاجرين الصغيرين، فلا فرق بين مسلم ومسيحي في تلك الفترة، فيندفع الأهالي لإنقاذ مركب التاجريين المصريين، وهو ما لم يفعلوه من قبل حين كانت ملكية المركب لشركة بريطانية، وهو ما يبين الروح الوطنية ضد الأجنبي والأخوة بين أفراد المجتمع الصعيدي.

آل بقطر في تجارة الصعيد

بدأ الأخوان بقطر في توسيع تجارتهما في أسيوط، فاستطاعا لأول مرة افتتاح محل لتجارة الأقمشة في جنوب أسيوط، وكانت تجارة الأقمشة هي النشاط الرئيسي للأخوان بقطر، فكانا يجلبان الأقمشة من القاهرة إلى أسيوط ومنها إلى باقي صعيد مصر والسودان[١١]، وشجع على ازدهار تجارتهما وقوع أسيوط على طريق درب الأربعين الذي كان ينقل المنتجات والتجارة ما بين مصر والسودان ولعل هذا يفسر لنا ازدهار تجارة الأخوين مع السودان، وهو ما أدى إلى ازدياد ثروتهما[١٢].

كذلك توسع الأخوان في التجارة النيلية حيث كانا ينقلان المنتجات عبر النيل ما بين أسيوط والقاهرة، وكانا يشتريا منتجات الفلاحين من الأسواق ويبيعانها في القاهرة والإسكندرية بعد ان ألغي الاحتكار الحكومي للحاصلات وأصبح مسموحا بالبيع والشراء، وهو ما مكنهما من تكوين ثروة كبيرة ومنحهما سيولة مالية استخدماها لتكوين ثروة عقارية.

دخل الأخوان مجال شراء الأراضي الزراعية، حيث كان ويصا يتولى شراء الأراضي على حين كان حنا يديرها، واستخدم الأخوان خبرتهما في الصعيد المصري الذي قطعاه على الحمار يبيعان الدبابيس والإبر لشراء الأراضي المعروضة للبيع، وقد توسعا في شراء الأراضي بدءاً من سنة ١٨٩١م بعد استقرار الملكية

الزراعية والتوسع في بيع أراضي الدائرة السنية[١٣]، فكونا ملكية واسعة من الأرض باستخدام الأرباح التجارية العالية التي حققاها، مستغلين فرصة وفرة المعروض من الأراضي الزراعية، وقلة المتقدمين للشراء.

كما ساعدت الظروف الأخوان بقطر في التوسع في شراء الأراضي في أسيوط؛ فقد كان المشترون لأراضي الدائرة السنية والأراضي المعروضة للبيع دائما من سكان نفس المديرية كي ليستطيعوا مراعاة تلك الأراضي، ولم يكن هناك الكثيرون من أهل أسيوط القادرون علي شراء الأرض، وكان مركز البيع دائما في القاهرة ولا يستطيع الراغبون في الشراء التنقل ما بين القاهرة وأسيوط، على حين كان ويصا دائم الإقامة في القاهرة وحنا دائم الإقامة في أسيوط[١٤]، لهذا تمكن الاثنان من شراء الأراضي التي لا يعرف طريقها سواهما، ولا يستطيع إنهاء إجراءاتها في القاهرة بسرعة غيرهما، كما تمكنا بخبرتهما من شراء الأراضي التي تصلح للتحويل من ري حياض إلى ري دائم وذلك ببناء السدود من حولها وشراء مضخات بخارية لسحب المياه إليها في موسم التحاريق، مما ساعد على زيادة إيراداتهما وبالتالي شراء مزيد من الأراضي.

عامل آخر ساعد في توسيع مشترياتهما من الأراضي الزراعية، وهو وجود ممول لهما؛ تمثل في بنك موصيري الذي تقدم ويصا للحصول على تمويل منه، وكان الخواجة موصيري يريد أن يتعرف على ضماناتهما، ولم يكن يعرف الأخوان بقطر فقال له ويصا أن معظم السفن التي تحمل التجارة بين القاهرة وأسيوط ملكهما، وأرسل موصيري يسأل ملاحو تلك السفن النيلية التي كان يستأجرها ويصا لمن هذه المركب؟ وكان الرد دائما للخواجة ويصا[١٥]، وهكذا تمكن من الحصول على تمويل دائم لشراء الأراضي الزراعية وهو ما مكن الأخوان في ١٨٩٨م من تكوين مساحة زراعية وصلت إلى ١٢٠٠٠ فدان بصعيد مصر موزعة على ثمانين قرية، كما قاما بإنشاء مصنع لصناعة السكر في بني قرة سنة ١٨٩٦م، ثم قاما بشراء ١٤٠٠٠ فدان بالفيوم، وشراء معظم أسهم شركة سكك حديد الفيوم الزراعية، وفندق بأسيوط، بالإضافة إلى العديد من المباني الموزعة بين الحقول، وتوفي حنا سنة ١٩٠٦م، وويصا سنة ١٩٠٧م، تاركين لأولادهما مساحة ٢٨٠٠٠ فدان إلى جانب باقي الأملاك[١٦].

التحول الديني إلى البروتستانتية:

شهد صعيد مصر طوال القرن التاسع عشر توافدا للبعثات التبشيرية الأمريكية البروتستانتية، والتي بدأت التبشير في أسيوط بين الأقباط، ونجحت في تحويل بعض العائلات القبطية من الأرثوذكسية إلى البروتستانتية مثل عائلة خياط، حيث أصبح واصف خياط قنصلا لأمريكا بأسيوط، وقد حاولت في البداية التأثير أولا على رجال الدين المسيحي، ثم تحولت إلى إنشاء المدارس مثل المدرسة الأمريكية بأسيوط، وبدأت البعثات التبشيرية باستخدام مركب في النيل للتنقل في الصعيد المصري، كما قامت بطباعة ترجمة للكتاب المقدس إلى العربية، وبدأت في توزيع الكتاب المقدس في سنة ١٨٦٠م بالعربية للمرة الأولى في الصعيد، حيث كان البائع المتجول يتجول في الصعيد على حمار وهو ينادي "الكتاب المقدس للبيع"، واستخدم نفس المركب العديد من المبشرين مثل القس هوج، ووليم هارفي[١٧] .

كان الأخوان بقطر يحضران اجتماعات الكنيسة البروتستانتية ويتعاطفان معها، دون ترك الكنيسة القبطية، وأعد مطران أسيوط كشفاً بأسماء الذين يحضرون الاجتماعات البروتستانتية لإصدار حرمان كنسي ضدهم، كتب المطران أسماء عائلتين من النجارين الفقراء ولم يكتب اسم الأخوين بقطر، وحينما سأله حنا لماذا لم يكتب اسمهما أسوة بالفقراء أجاب أن المطران منحه هو وأخيه وواصف خياط "جلا خاصا"، فلم يقبل حنا الرد وانضم للكنيسة البروتستانتية، وقد قام ويصا ببناء أول كنيسة بروتستانتية في أسيوط في جزء من حديقتهم سنة ١٨٧٠م، وقاما بتوسعتها وبناء كنيسة كبيرة مكانها بعد الحصول على تصريح من الخديوي سنة ١٨٩٦م[١٨] وانتهى بناؤها وافتتاحها سنة ١٨٩٩م، وهو ما يثبت أن بناء الكنائس لم يكن ممنوعا في الصعيد، كما يثبت تسامح المجتمع الصعيدي في بناء الكنائس، فلم يلق بناء أول كنيسة بروستانتية أية مقاومة من الأرثوذكس المصريين أو المسلمين المصريين، فهو مجتمع متسامح مع بعضه بعضا في نهاية القرن التاسع عشر.

التعامل مع السلطة

كان التعامل مع السلطة دائما من إختصاص ويصا، لذلك سعى ويصا للحصول على الدعم الكافي له ليصبح في مركز قوة يمكنه من إدارة ثروة الأسرة والحفاظ عليها، وحصل بالفعل على عنصر القوة في تلك الفترة وذلك بالحصول على الحماية الأجنبية من أسبانيا، وتمكن من أن يصبح قنصلا لأسبانيا بأسيوط طوال الفترة من ١٨٤٢-١٩٠٦م، ولعل ذلك ما يبرر لنا قدرته على التحرك والعمل في ضوء الحماية الأجنبية في القرن التاسع عشر، كذلك تمكن بعد ذلك بفترة جورج باشا ويصا ابن شقيقه عازر بقطر من أن يصبح قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية في اسيوط أيضا[١٩].

لم تكن الحماية الأجنبية وحدها تكفي لحماية شخص مثل ويصا فقد كانت رصاصة طائشة في صعيد مصر تكفي لإنهاء حياته ما لم يتمتع برضى الحاكم المطلق الصلاحيات، وهو ما كان يفهمه تماما ويصا وهو ما حرص أيضا عليه، ويظهر هذا الحرص في تصرفاته، فحين اشترى الأخوان أرضا معروضة للبيع من الدائرة السنية ونص الإعلان على أن الأرض محاطة بسور، وكان الأخوان يعرفان أنها غير محاطة بسور فطالبا بتخفيض السعر بعد شرائها، ولكنهما عرفا أن ذلك سيغضب الخديو توفيق، فأسرعا بشراء عدد من كوبونات الدين السائر، وكانت تباع بمبالغ زهيدة لأنها معرضة لعدم السداد قبل قانون التصفية، وأسرع إلى قصر عابدين للتنازل عنها للخديو الذي أعجب بموقف ويصا، وطلب لقاءه فقالوا له أنه محدث نعمة كان يبيع الإبر والدبابيس على حمار، وأصر الخديو على لقائه وسأله: " هل صحيح يا خواجة ويصا أنك كنت تبيع الإبر على حمار؟ " فأجاب: "وأحيانا سيرا على الأقدام يا أفندينا"، وبهذا تمكن ويصا من البعد عن غضب الخديو بل حمله على لقائه واحترامه، وهو ما سيستثمره لاحقاً في معاملاته القائمة على السمعة، والمعاملة الشفوية باستخدام كلمة استبينا وهي كلمة إيطالية معناها بدأنا، وكان بارعا في كسب احترام وود من حوله شفويا[٢٠].

إدارة الثروة في الأسرة

قام الأخوان بقطر بتقسيم العمل بينهما، فكان حنا دائم الإقامة في أسيوط يدير أملاك الأسرة ويشرف على كل الأمور بنفسه، بينما تفرغ ويصا لإدارة العلاقات مع المؤسسات في مصر، فهو الذي يشتري الأراضي الزراعية، والذي يعقد القروض مع البنوك، والذي يتعامل مع الخديوي ومع كبار رجال الدولة، وفي البداية كانت شراء الأراضي يتم باسم ويصا فقط حتى بداية القرن العشرين حينما قام الأخوان بتسجيل الأملاك باسميهما معا.

قصور الأخوين:

أقام ويصا في قصر على النيل في أسيوط مساحة ستة عشر فدانا، واستخدم مهندسين إيطاليين لبنائه، وتصميم الديكورات، ورسم الصور الملونةfresco على أسقف حجرات غرف الاستقبال الرئيسية. وكان الدور الأرضي مخصصا لإقامة ويصا وكان مكونا من قاعات للاستقبال وأربع غرف للنوم وقاعة طعام كبيرة ، أما الدور العلوي فكان مقسما إلى شقتين كبيرتين الأولى وكانت مطلة علي النيل خصصت للأخ الأكبر جورج الذي كان متزوجا من ابنة عمه فيكتوريا عازر، والثانية خلفية كانت مخصصة للأخ الأصغر زكي الذي تزوج من شفيقة تادرس خياط، وكانت الأسرة تلتقي في مكان الأب وينصرف كل مهم لحياته الخاصة في شقته الخاصة.

كذلك أقام حنا قصرا فاخرا آخرا بنفس المهندسين الأوروبيين، وكان ينزل به علية القوم، فقد نزل به السلطان حسين كامل حين زار الصعيد[٢١]، وهو ما يوضح مدى فخامته، ومكانة أصحابه، ومساواة الحاكم بين رعايه وعدم اهتمامه بالاختلاف الديني.

زواج الأخوين بقطر:

تزوج الأخوان بقطر في عام واحد في سنة ١٨٦٠م، حيث تزوجا من عائلتين ثريتين من الأقباط، فتزوج ويصا من عائلة الجوهري (انجلينا الصيفي)، بينما تزوج حنا من أسرة معلقة (فردوس معلقة)، لم يكن الأخوان قد شاهدا زوجتيهما قبل الخطبة، وعند حفل الخطوبة لاحظ حنا أن عروس المستقبل سمينة وبيضاء وأن عروس ويصا نحيلة وسمراء، فعرض عليه ضاحكا التبادل ولكن ويصا أجاب: أنا أتزوج عائلة، كان هذا هو مفهوم الزواج عند الأخوان بقطر.

أما الأولاد فكان عليهم دائما الزواج من عائلات مماثلة لهم، ولهذا نجد أن معظم زيجاتهم انحصرت في العائلات البروتستانتية الثرية مثل عائلة خياط، وفانوس، ومن داخل الأسرة وعائلة ابسخرون وعائلة عازر ويصا الأخ غير الشقيق وغير الشريك في الثروة[٢٢].

الأولاد في الأسرة:

أنجب ويصا ولدين: زكي بك ويصا، وجورج باشا ويصا، وثلاثة بنات: روجينا، فازورة، بلسم، بينما أنجب حنا أربعة من الرجال هم: فهمي بك، نصيف، نجيب، جندي، وثلاث إناث هن: لويزة، زاخورة، ونزهة.

كان الأخوان يتدارسان في أمور الأولاد ويتخذان قرارات جماعية بشأنهم، ففي عام ١٨٩٧م قرر الأخوان إرسال أولادهم للتعلم في الخارج، فتم إرسال فهمي حنا، وزكي ولويس ويصا للتعلم في المدرسة الأمريكية ببيروت، ثم انتقلوا معا إلى أكسفورد عام ١٩٠٢م، حيث زاملوا وليم مكرم عبيد، وهكذا كان الأخوان يتشاركان في المناقشة والتخطيط للأولاد بصورة جماعية، وكان الرأي في مثل هذه الأمور للأخ الأصغر ويصا اللصيق بالأوساط العليا في القاهرة.

ولكن الأولاد لعبوا دورا في تقسيم الممتلكات بين الأخوين حين اتهم أحد أولاد ويصا أولاد حنا بأنهم خدم له؛ لأن كل ممتلكات الأسرة مسجلة باسم ويصا فما كان من حنا إلا أن طلب إعادة تسجيل الممتلكات بينهما فسجلت جميع أملاكهما باسم حنا وشقيقه ويصا بقطر[٢٣].

الدور الاجتماعي

قام الأخوان ويصا بتأسيس مدرسة للبنين في أسيوط سنة ١٨٧٠م، وقد أعدت تصميمات المدرسة وتم بناؤها بواسطة مهندسين بريطانيين، وكان الناس يطلقون عليها إسم القلعة، وقد أقيمت على مساحة أربعة أفدنة[٢٤]، وكانت تقدم دراسات صباحية ومسائية، وقد صادرها محافظ أسيوط بعد الثورة لإقامة مدرسة فنية للتمريض.

وقد لعبت مدرسة ويصا للبنيين دورا كبيرا في النهوض بالتعليم، وكانت مجالا للتنافس بين الأسر الكبيرة، فقد أسست عائلة خياط مدرسة خياط للبنات، وهو ما يوضح كيف كانت تتنافس تلك الأسر في تقديم خدمات تعليمية مجانية لأهالي أسيوط، وقد بلغت الأسرة مكانة عالية حتى أن افتتاح مدرسة ويصا للبنيين حضره السلطان حسين كامل حين كان أميرا، ونزل ضيفا في قصر ويصا أثناء زيارته لمدينة أسيوط.

الأسر القبطية في ضوء الأسرة

من قراءتنا لسيرة الأخوين بقطر، نرى أن الأقباط في صعيد مصر في القرن التاسع عشر كان لهم سبق تجاري ومالي، وكانت الفرصة متاحة لكل من يستطيع تكوين ثروة، بل أن حرية التحول الديني كان أمرا متاحا، فقد تحول الأخوان بقطر من الأرثوذكسية إلى البروتستانتية ببساطة، ودون أن يجابها بمواقف تصل حتى الموت كما حدث في ظل وجود الجماعات الإرهابية في الصعيد، كما كان يمكن لهم بناء الكنائس، والمدارس التي لم يستطع بناؤها سوى الأسر المقتدرة لتقديم الخدمات التعليمية المجانية لجميع أفراد المجتمع من المسلمين والأقباط، كذلك كانت فترة التحول من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر فرصة لمن يريد ويملك القدرة لتكوين ثروة، كما كانت الثروة بين الأسر القبطية ما يسمى بمال الخلط، حيث تمتلك الأسرة كافة أملاكها على المشاع بين أفرادها وهو ما انتهى بحلول القرن العشرين حين كبر الأولاد وتجاوز كل من الأخوين الستين من العمر، كما كانت علاقات الزواج قائمة على المصاهرة قبل الحب، وكانت قصور أسيوط يبنيها للأعيان من الأقباط مهندسون إيطاليون وأوروبيون، ولكن كل ذلك لم يكن ليتم دون رضا الخديو، الذي يجب مراضاته في جميع الأحوال. وهكذا أمكن لتاجرين بسيطين، متمتعين بالحماية

الأجنبية، تكوين ثروة قوامها ٢٨٠٠٠ فدان ومصانع للسكر، واسهم متعددة، وقصور، والعديد من المنشآت.

الخاتمة:

تمكن الأخوان بقطر من تكوين ثروتهما من التجارة، واستثمار أرباحهما وخبرتهما ومعرفتهما بقرى الصعيد في شراء مساحات واسعة من الأراضي من شركة أراضي الدائرة السنية التي كانت تبيع الأراضي في أماكن لا يعرفها المشترون الأثريا المقيمون في القاهرة، بينما كان الأخوان يعرفونها بحكم تجوالهما في الصعيد لبيع الخردوات، وهكذا أصبح الاخوان من كبار الملاك نتيجة عملهما بالتجارة وخبرتهما الواسعة بالصعيد، وعثورهما على بنك ممول، ولم يكونا ثروتهما من استغلال أو من خلال ارتباطهما بالسلطة.

ربط العديد من الكتاب والمفكرين بين البروتستانتية والثروة، ولكن الأخوين بقطر كونا ثروتهما بينما كانا قبطيين، ولم يتحولا للبروتستانتية إلا بعد ان أصبحا أغنياء، فقد مكنهما ثراؤهما من التحول الديني ببساطة، لم يجدا مقاومة أو إهدارا لدمهما لأنهما تركا كنيستهما العريقة وتحولا للكنيسة البروتستانتية، بل أنهما أسسا كنيسة بروتستانتية في صعيد مصر دون مقاومة من جانب الكنيسة الأرثوذكسية ولا من جانب الأهالي.

تظهر الدراسة كيف كون الاخوين بقطر ثروتهما من التجارة بحرية مطلقة في صعيد مصر، فقد تجولا في الريف على قدميهما وعلى حمار يبيعان الخردوات، وحين أرادا انتشال سفينة غارقة اشترياها غارقة ساعدهما الأهالي وعمدة القرية على ذلك دون النظر للاختلاف الديني بينهم، هذه اللحمة الاجتماعية في صعيد مصر تبين مدى الاندماج الاجتماعي للأقباط في المجتمع في الصعيد.

أما الدور الاجتماعي للأسرة فيظهر من خلال بناء المدارس للبنات والبنين في الصعيد، حيث تسابقت الأسر الغنية في بناء المدارس والتحق بها الطلاب بغض النظر عن دينهم، كما انتخب الأهالي منهم نوابا يمثلونهم في البرلمان رغم اختلافهم الديني معهم، مما يدل على الاندماج الاجتماعي والسياسي بين أهالي الصعيد قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

المصادر:

[١] عاصم الدسوقي، نحو فهم تاريخ الاقتصادي والاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.
[٢] لوران فلوري، ماكس فايبر، ترجمة محمد مقلد، دار الكتب الجديدة، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٨.
[٣] حنا فهمي ويصا، أسيوط حدوتة أسرة مصرية، لندن، ١٩٩٥، ص ٤٥.
[٤] نفس المصدر، ص٦٦.
[٥] نفسه.
[٦] أمين مصطفى عفيف، تاريخ مصر الاقتصادي في العصر الحيث، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٥١، ص ٧٧.
[٧] نفس المصدر، ص ١٩٢.
[٨] محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، مكتبة مدبولي،١٩٩١. ص ٨٦.
[٩] عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من قبيل الفتح العثماني الي قبيل الوقت الحاضر، مكتبة مدبولي،١٩٩٩٠، ص٢٠٧
[١٠] الكشكول، عدد ٦ أبريل، ١٩٣٠، ص١٢.
[١١] شارل العيسوي، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقية، ترجمة سعد رحمي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥، ص ١١٧.
[١٢] حنا فهمي ويصا، المصدر السابق، ص ٧٠.
[١٣] عادل عبد الاه مهران، أراضي الدائرة السنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنيا، ١٩٨٥، ي٩٧.
[١٤] الكشكول، ٢٥ مايو، ١٩٣١.
[١٥] حنا فهمي ويصا، المصدر السابق، ص ٩٠.
[١٦] محافظ عابدين، محفظة رقم ٥، الطوائف، دار الوثائق القومية، القاهرة.
[١٧] أخنوخ فانوس، الأرجوزة العصرية، القاهرة، ١٩٠٥، ص ٣٣.
[١٨] مجموعة الأوامر والمنشورات، دكريتو بالتصريح ببناء كنيسة في أسيوط، ١٥ أبرل ١٨٩٦، المطبعة الأميرية، القاهرة.١٨٩٧ز
[١٩] الكشكول، ١٥ يناير، ١٩٣٠.
[٢٠] حنا فهمي ويصا، المصدر السابق، ص ١١٣.
[٢١] المقطم، ١٥ يناير ١٩١٥.
[٢٢] حنا فهمي ويصا، نفس المصدر، ص ١٨٠.
[٢٣] الكشكول، ٢٣ ديسمبر ١٩١٩.
[٢٤] محافظ عابدين، محفظة رقم ٥، الطوائف، دار الوثائق القومية، القاهرة.